الرقيق والنشاط الحرفي ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام

د. خالد حسين محمود

كلية الآداب - جامعة عين شمس

جمهورية مصر العربية

الكلمات المفتاحية: الرقيق، بلاد المغرب الإسلامي، النشاط الحرفي.

لم يحظ دور الرقيق الاقتصادي ببلاد المغرب الإسلامي - إن لم يكن العالم الإسلامي - في العصور الوسطى بالاهتمام من قبل الدارسين المحدثين على كثرة ما كتب عن النشاط الاقتصادي للغرب الإسلامي، ولا نحتاج حتماً إلى كبير عناء لمحاولة التفسير، إذ ثمة مجموعة من الصعوبات تواجه من حاول اعتراك هذا المجال، وفي طليعتها قلة النصوص والوثائق، فضلاً عن حداثة حقل التاريخ المتعلق بالرق ببلاد المغرب الإسلامي، عكس الدراسات في التاريخ الحديث، والتي نحت منحاً جريئاً في هذا المجال بسبب الوفرة النسبية للمادة التاريخية¹، ومن ثم لم يسمح شح المعلومات عن دور الرقيق الاقتصادي بالكشف عن الموضوع مما جعله بعيداً عن متناول الباحثين عربياً ومستشرقين².

غير أن التنقيب بدقة عن المادة المدفونة في ثنايا المصنفات القديمة وأدبيات التاريخ اللاإرادية، والبحث في التراث المخطوط خاصة، قمينٌ بإلقاء أضواء على هذا الدور المغيب، ورسم الخطوط كبرى لهذا الجانب المطموس، ربما يتغير معها الكثير من النتائج المطروحة مسبقاً عن هذا الموضوع.

في شكل ملاحظة ذات صبغة إنشائية سجل أحد الباحثين³ أن العبيد أصبحوا يمثلون القوة المنتجة الأساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي ببلاد

المغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، بدءاً من العمل في المناطق الزراعية ومروراً بحركة التعدين والهيكلية الحرفية وانتهاءً بالميدان التجاري، دون أن يعطي نماذج تاريخية تؤكد هذا التخريج. واعترف باحث آخر⁴ بعجزه عن سبر أغوار الموضوع، بحجة أن النصوص المصدرية لم تمكنه من الإجابة عن السبب في عدم توظيف العبيد على نطاق واسع في العمل الاقتصادي، منوهاً إلى خصوبة هذا المجال أمام البحث التاريخي وداعياً إلى ضرورة عناية الباحثين بهذا الجانب. ولا شك أن سمة التهميش المصدرية لنشاط الرقيق الحرفي كانت وراء هذا التخريج، وهي مسلمة لا تحتاج إلى تأكيد، فقد أجبرت النظرة الدونية للرقيق من ناحية وللأعمال الحرفية من ناحية أخرى المؤرخين على إمعان التكتّم في ذكر هذه الوضعية، اللهم إلا إشارات منفصلة أثناء سرد أخبار عسكرية أو عبر ترجمة فقيه أو زاهد أو أديب.

كال أهل القلم صنوف الشتائم وألوان التقريع على الحرف ومحتزفها، فقديمًا اعتبر أفلاطون الأعمال اليدوية من أحسن الأعمال التي لا يجب أن يتولاها إلا العبيد؛ حتى ينصرف الأحرار لسياسة المدينة وتدبير أمورها⁵، وجاء من بعده أرسطو⁶ ليؤكد تلك النظرة بقوله "إن أدق الصنائع ما قل مجال القدر فيه، وإن أحسها ما عظم إضناؤه للجسد وأجدرها بالعبيد ما كثر فيه استخدام الجسم، وأحطها شأنًا ما ضؤل احتياجه إلى الحدق".

وأرخت تلك النظرة بظلالها على أهل القلم من المسلمين؛ فاعتبروا الحرف "تابعة وممتهنة"⁷ "منتنة"⁸ "رزيلة.. دنية"⁹ "خادمة"¹⁰، لا يمارسها إلا "الأراذل البالغين غاية الرذالة"¹¹ من "الفعلة"¹² المنحطين "في دركات الخسة"¹³، والأشبه في احترافها بـ "البهائم التي ظهرت منها الصنائع"¹⁴، داعين أهل المروءة والشرف إلى "الأنفة من مشاكلة البهائم"¹⁵.

ومن ثم بات بديهياً أن تُترك مثل هذه الأعمال اليدوية للعبيد، في إطار النظرة المجتمعية الدونية للحرف والمخترفين، وهو ما دفع ببعض الباحثين¹⁶ للقول بأنه لم يكن من نصيب الرقيق في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط إلا حرف وضيعة أعرض عنها السادة وسمحوا لعبيدهم بالقيام بها. ولقد برهن أهل القلم بخصوص مسألة نشاط الرقيق الحرفي - التي أفردت لها الأبواب والفصول¹⁷ بل والمصنفات¹⁸ - على قدرات ومهارات فذة من المنظور الصناعي استحققت مثل هذه الكتابات في حق الرقيق، وهو ما تؤكدته نصيحة أحد كتاب العصر من مؤلفي الأدبيات السياسية للحكام بقوله: "لا تجالس الخدام والعبيد فإنهم يرتفعون بك عن مهنتهم فيخل ذلك بخدمتهم"¹⁹. ونشير في هذا الإطار إلى موقف المعز الفاطمي من مناغاة غريمه عبد الرحمن الناصر ملوك وخلفاء عصره بحجم ونوعية ما احتوته بلادده من الصنائع والصناع، مما أثار سخرية الإمام الفاطمي الذي لم يتمالك عن التصريح بأن "مثل هذا لا يفخر به ذوو العقول، بل الحاكمة وأهل الصنائع إذا كانوا أغلب على أهل بلد نقضوا بهم.. فجعل هذا الجاهل هذا فخراً"²⁰ ثم صرح بأن الحرف والصنائع موكولة إلى "عبيدنا الذين أفاء الله عز وجل بهم علينا"²¹. وأفتى الفقهاء بأن "من قال لمولى يا خياط أو يا ابن الخياط فلا حد عليه. لأن المولى هم أهل الصنائع"²². وهكذا تتواتر الإشارات عن "عبد من أهل الصنائع"²³ وعن "الممالك أهل الصنائع"²⁴، وعن "عبد.. ذي صنعة قيام بالأمر"²⁵، وعن "استأجر عبداً ذا صنعة بأجرة معلومة"²⁶، وعن "آجر عبده.. صانعاً أو صباغاً أو خياطاً أو صائغاً أو غير ذلك من جميع الصنائع"²⁷، وعن "جارية طباحة وخبازة"²⁸، وعن "الأمّة النساجة أو الخبازة"²⁹ وعن "العبد الخياط والنجار"³⁰، وعن له "الرقيق والمصانع"³¹ وعن "الرقيق ذوو الصنائع"³²، وعن "عبد فاره صناع"³³، وعن عبد "له

صنائع³⁴، وعن "عبد ثياب مهنته"³⁵، وعن "عبد..صانع بيده"³⁶. كما وصفت المصادر الجوارى اللائي سباهن موسى بن نصير بالسوس الأقصى أن فيهن "حسن بارع وحذق بصناعات أيديهن"³⁷.

اهتمت القوى السياسية بجلب العبيد من ذوى الصناعات، فقد جلب أمراء الأدراسة إلى مدينة فاس "أقواماً من الصناع من الخدم والعبيد"³⁸، وصفوا بأنهم "كانوا عمالاً مهرة"³⁹، وذكر الرقيق القيرواني⁴⁰ أن إبراهيم بن الأغلب "أخذ في شراء العبيد وأظهر انه يريد أن يتخذ من كل صناعة صنعة تغنيه عن الرعية في كل شيء من أمورهم"، وتفاخر المعز الفاطمي بما أنتجه عبيده من "بديع الأعمال وغرائب الصنائع التي لا يحكم حذاق أهل المشرق مثلها، وان ذلك من صنعة عبيده.. من سبي الروم، وان مثل ذلك لم يتهياً لأحد من ملوك الدنيا مثله"⁴¹.

أشادت المصادر بالرقيق الروم وما اتصفوا به من مهارة حرفية، فقد وصفهم ابن الفقيه (نحو 340 هـ/951 م)⁴² بأنهم "أهل صناعات وحكم وطب"، ونعت أبو حامد الغرناطي (ت565هـ/1169م)⁴³ الرقيق الروم بأن "عندهم صناع كثيرون في جميع الصناعات"، وامتدح صاحب مخطوط شراء الرقيق مهارة الروم قائلاً "لهم قدم عظيم في الصنائع وعمل الأيدي فيهم نجابة وذكاء مفرط، والغلام منهم إذا ثقف وعلم قبل.. الحرف بأسرها"⁴⁴. وينسحب الأمر على الجوارى الروميات اللاتي "لا يخلو أن يكون بأكفهن صنائع دقيقة"⁴⁵. وبشكل عام أشارت المصادر إلى أن "الرقيق نوعان: رجال ونساء، وقد اختص كل جنس من الصنائع"⁴⁶.

كانت صنعة الرقيق وحرفته حاضرة باستمرار خلال عمليات بيعه وتسليفه، فضلاً عن بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بذلك، فقط ألح الموثقون على ضرورة تضمين عقد بيع الرقيق إلى جانب اسمه ونعته — ذكر صنعتته إن كانت له صنعة⁴⁷، بل

أوجب أهل الحسبة على النحاس أن " يكتب اسمه وصنعتة في دفتره"⁴⁸، واعتبروا التدليس في ذلك عيباً يوجب الرد "مثل أن يشترط للأمة أن تكون ذات صنعة طباحة فوجدها لا تحسن فله الرد"⁴⁹. وتفادياً لذلك كان يتم اختبار الرقيق ذوي الصنعة عند البيع، ومن أجل ذلك وضعت مصنفات حول: "الحدس والفراسة والسياسة في امتحان من يباع من الرقيق بصناعة"⁵⁰، ولعل فيما أشارت إليه كتب الحسبة بخصوص الأمانة التي يعهد إليها المشتري بأن "تحمل... المرتفعات... بإرادة التقليل والاختبار ولا سيما ذوات الصناعات منهن وتقيم يومها بمن لا اختبار صنعتها، فيعطيها على وجه الشكر لها والجزاء على تهمها"⁵¹ ما يؤكد ذلك .

كانت الحاجة إلى الاستفادة من أعمال الرقيق الحرفية وراء فتوى الفقهاء بجوار تسليم الرقيق أصحاب الصناعات، فقد سئل الفقيه سحنون (240 هـ / 854م) عن تسليم الرقيق فقال "يجوز ماله صنعة فيما لا صنعة له إذا افترضت الصنائع وتباينت"⁵²، وصرح ابن العطار (ت 399 هـ / 1008م)⁵³ بأنه "لا يجوز تسليم بعضهم في بعض إلا باختلاف الصناعات، مثل أن يسلم صانعا في عبيد غير صانعين، وعبيد غير صانعين في عبد صانع وتصف صناعته، وإن لم يكن لواحد منهم صناعة .. فلا يجوز تسليم بعضهم في بعض.. وتسلف الجوارى بعضهم في بعض الطباعة الخبازة في اثنتين غير خبازتين ولا طباختين". وهكذا تشير إحدى الوثائق إلى أن سيداً سلف "مملوكه الحلقي المسمى بكذا النجار أو البناء في مملوكين من رقيق الأعاجم أو البربر أو السودان"⁵⁴، ولا يخفى السر في تسليم عبد صانع بعبيد غير صانعين وهو أن الصنعة ترفع من السعر، وهو ما تؤكد العديد من الإشارات، فقد اشترى أحدهم "عبداً قيمته مائة درهم وعلمه صنعة فصار العبد يسوى أكثر من ذلك"⁵⁵، وفي حديثه عن الجوارى اللاتي كان يتم تصديهن من

المغرب ذكر الاصطخري (تحوالي 346هـ/957م)⁵⁶ أنهن كن "جوارى مثنات، تأخذ الجارية والخدام من غير صناعة على وجوههما بألف دينار وأكثر"، مما يؤكد على أثر الصناعة في ارتفاع الأسعار. ولذا ذهب الفقهاء إلى أن "من الزيادة في الرقيق.. زيادة في الحال مثل العبد والجارية يتعلمان الصناعات"⁵⁷، وانطلاقاً من ذلك، لما سئل الفقيه ابن القاسم ت191هـ/806م عن "جارية فصيحة عربية ثمنها ألف دينار تباع بجاريتين وحشتين .. إلى أجل، قال: ليس الحسن ولا الفصاحة شيئاً، لو كان لجارية ثمن ألف دينار لحسنها وفصاحتها وليس في يديها صنعة من طبخ ولا خبز ولا رقم لم تحل بجاريتين ثمن عشرين ديناراً إلى أجل"⁵⁸. وهو ما دفع بالسادة لتعليم رقيقهم الحرف والصنائع لتحقيق أعلى مردود ربحي، فقد سئل أفلح بن عبد الوهاب (ت258هـ/871م)⁵⁹ "أرأيت أن دفعت غلامي إلى خياط أو قصار أو جزار ليعلمه ذلك مقابل أجر معلوم أو استأجرت رجلاً يعلمه شهراً، قال لا بأس"، كما ترد إشارة عن "جارية تساوى على وجهها كذا وكان ويدها صنعة ويسأل بها صاحبها من اجل صنعتها كذا وكذا أكثر مما تساويه بغير صنعة"⁶⁰.

ناقش الفقهاء بعض التفرعات الفقهية المتعلقة بصناعة الرقيق وحرفته، من ذلك موضوع مكاتبة الرقيق، حيث اشترط الفقهاء للمكاتبة أن يكون للرقيق صنعة يتكسب منها، فقد نقل عن مالك قوله "إن الأمة التي لا حرفة لها يكره مكاتبها لما يؤدي إليه من فسادها"⁶¹، وهو ما أفتى به سحنون⁶² حين كره "أن تخارج الجارية التي ليس بيدها صنعة ولا تكاتب ولا لها عمل معروف"، وتبعه في ذلك فقهاء المالكية⁶³ والإباضية⁶⁴ والشيعة⁶⁵.

واستناداً لذلك اشترط الموثقين تضمين صنعة الرقيق المكاتب في عقد المكاتبة، ففي وثيقة مكاتبة مملوك أثبت بها أصله واسمه إلى جانب صفته "الحجام أو الرقام أو

الصانع صناعة كذا"⁶⁶، كما نبه الموثق في وثيقة مكاتبة رجل على مملوكه إلى أنه "إن كانت له حرفة ذكرتها نحو الحجام أو البناء أو الصانع أو ما كان"⁶⁷. وأحيانا كان ينسب الرقيق إلى صنعتهم في عقود عتقهم⁶⁸.

كان وعي الفقهاء بأهمية صناعة الرقيق وما تدره من أرباح للسادة وراء صدور بعض الأحكام الفقهية الأخرى، فقد صرح ابن أبي زيد القيرواني(ت 386هـ/ 928م)⁶⁹ على أنه من "قطع يد عبد نساج أو صانع بيده ضمن قيمته أجمع ويأخذه، وإن كان على غير ذلك فإنه عليه ما بين القيمتين" كما نلمح التمييز في أحكام القصاص بين العبد الصانع والعبد غير الصانع، حيث نصت الفتوى على أنه "من قطع يداً واحدة من عبد فاره صناع فإنه يضمن قيمته لربه ويعتق عليه"⁷⁰، ولا يخفى مدى الحرص الشديد من جانب الفقهاء في الحفاظ على يد الرقيق المحترفة من خلال تشديد العقوبة على المعتدى عليها، في ظل مجتمع أنف السادة فيه من مباشرة الأعمال الحرفية. ونلمح نموذجاً آخر لهذا التمييز فيما يتعلق بعبيد المفقود، حيث امتاز أهل الصناعة منهم بأحكام تتناسب مع خصوصيتهم الحرفية، فقد دعا الفقهاء أن ينظر الحكام "في عبيد المفقود فمن كان له منهم غلة أو صناعة يرغب له فيها، ويكون حبسه على المفقود نظراً .. باستغلاله ومؤاجرته وإقامة ما يقوم منه العمل وتستدام به الغلة له، وانفق عليه .. وصرف ما يفضل من خراج العبد في مصالح المفقود .. أو كان عبداً غير صانع ولا حاجة إليه .. باعه وحبس ثمنه للمفقود"⁷¹، وتوفر بهذا الخصوص على نازلة دالة تتعلق بتاجر ترك جارية وغاب عنها إلى ناحية تونس، وطالت غيبته، وادعت الجارية الضياع، مما استدعى تدخل القاضي فحكم ببيعها، وحين عاد السيد وأخبر بالحكم رفع مظلمته ضد القاضي وذكر "أنها صناعة اليدين يمكنها إتمام نفقتها بعد ما ترك لها من صناعة يديها"⁷². كما ينسحب أثر

صنعة الرقيق على الرقيق الآبق، والذي أفتى فقهاء المالكية ببيعه إلا "إذا كان للعبد صنعة تقوم بنفسه"⁷³.

يمكن التعرف على طبيعة بعض الأعمال الحرفية التي أشتغل بها العبيد من خلال مطالعة المصادر، ففيما يخص عملية التعدين انخرط العبيد في عمليات استخراج الخامات المعدنية لما تتطلبه من جهد مضني، وهو ما حدا بأحد الدارسين⁷⁴ إلى اعتبار "العبيد القوة المحركة في العمل الجماعي في المزارع الكبرى وفي المناجم". وهكذا تشير المصادر إلى عمل العبيد بمناجم الملح في الصحراء خاصة العبيد السودان⁷⁵، منها مناجم مدينة تغازي التي تقع جنوب سجلماسة، والتي "لا يسكنها إلا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب إليهم من السودان"⁷⁶. وحسب رواية أخرى فقد كان أهل تغازي "أهلها عبيد مسوفة.. شغلهم جمع الملح طول السنة، يأتهم الفقل في كل سنة مرة يبيعون الملح ويأخذون من ثمنه قدر نفقاتهم، والباقي يؤدونه إلى ساداتهم من مسوفة"⁷⁷. ورغم تأخر مصادر تلك المعلومات عن فترة البحث، فإننا نعتقد أنها تصور بدقة الدور الحرفي للرقيق في العصور التي تمنا، إذ أنها تلتقى مع الأهمية الخاصة التي أعطاها كل من ابن حوقل⁷⁸ والبكري⁷⁹ عن معدن الملح بتغازي وما تتطلبه عملية استخراجها من جهد شاق يتناسب وطبيعة العبيد السود على نحو خاص. وفي الإطار ذاته ترد إشارات عن عمل الرقيق باستخراج الملح في ملاحه تونس⁸⁰، كما كان للقاضي سحنون "ملاحظته يعمل بها العبيد"⁸¹ في إطار التثمين المنجمي للأفراد.

إضافة إلى الملح، تولى الرقيق العمل في بعض المناجم المعدنية الأخرى، مثل النحاس والذهب، فحسب رواية ابن حيان الاندلسي (ت 469 هـ / 1076م)⁸² دخل موسى بن نصير مدينة سجلماسة "ووجد بها قوماً من الأحباش بيوض الألوان كانوا

يعملون باستخراج النحاس والذهب"، وهو مجال عمل فيه الرقيق في جهات أخرى مثل السوس الأقصى؛ حيث كان "العبيد والخدم يستخرجون التبر"⁸³، ومدينة تكدا التي تولى فيها العبيد سبك النحاس⁸⁴، ووادي العلاقي جنوب أسوان والتي ذكر اليعقوبي (ت 284 هـ/897م)⁸⁵ أنه كان به "عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنخ الأصفر ثم يسبك"، كما ترد إشارة إلى استخراج الرقيق لمعدن المرجان في جزيرة مرسى الخرز بالبحر المتوسط القريبة من السواحل المغربية⁸⁶، ويفهم من رواية للبكري (ت 487 هـ/1094م)⁸⁷ اشتراك الرقيق في استخراج بعض الأحجار المعدنية من جبل ازجونان قرب اودغشت حيث كان "يقطع فيه السودان".

ارتباطاً بالتعدين، ترد إشارات عن عمل الرقيق ببعض الصناعات المعدنية، مثل سك العملة والتي اشتهر بها الصقالبة على نحو خاص، فقد انتخب الأغلبية والفاطميون هذا الصنف من الرقيق للعمل في دور السكة، واستناداً إلى العملة الأغلبية يمكن حصر أسماء بعض الرقيق الصقالبة الذين كتبت أسماءهم على القطع النقدية، باعتبارهم مشرفين على ضربها، مثل موسى الذي كتب اسمه أسفل اسم إبراهيم الأول، ومسور الذي كتب اسمه أسفل اسم زيادة الله الأول، وخلف أسفل اسم أبي العباس، وحسن أسفل اسم أبي الغرائق، وبلاغ وشاكر أسفل اسم إبراهيم الثاني، وخطاب أسفل اسم زيادة الله الثالث، وقد وردت أسماءهم مجردة من أي لقب أو كنية باعتبارهم رقيق⁸⁸.

وبالموازاة، استفاد الفاطميون من الصقالبة في سك العملة، فقد ذكر الجوزري⁸⁹ أن نظيف الصقلبي متولى بيت المال والمهدية رفع إلى المهدي كتاباً ذكر فيه ما وقع بينه وبين الصقلبي "علوش السكالك من المشاجرة على الطبع بسكة المهديّة،

وما نسبوه إلى علوش في أمر العيار"، مما استدعى تدخل المهدي أمراً خادمه جوذر أن "يختبر عليه ما بأيدي الناس ففيها المصانعة".

نتوفر على إشارات تفيد بعمل الرقيق في الصياغة وبعض الحرف المعدنية الأخرى، فقد اشترى الحاجب جعفر للمهدي الفاطمي أثناء إقامته بسجلماسة "رومياً صائغاً من امرأة من أهل سجلماسة سماه مسلماً"⁹⁰، وفي ترجمتها للشاعر القيرواني الحسن بن رشيق تذكر المصادر أن أباه كان "مملوكاً رومياً لرجل من أهل الحمديّة.. علمه أبوه صنعته وهي الصياغة"⁹¹، ونقرأ لابن رشيق مقطوعات في غلام صائغ اسم اللون:

اسمر اللون عسجدي يكاد يستمطر الجهما⁹²

وحسب أحد تفسيرات المصادر لتسمية فاس بهذا الاسم، تذكر إحدى الروايات أن إدريس الثاني لما شرع في بنائها كان يعمل بيده من الصناعات والفعلية "فصنع له بعض خدمه فأسا من ذهب فكان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلية"⁹³ فنسبت إليه المدينة، كما ترد إشارة عمن اشتهر من "الرقيق.. بمس الحلبي والدرهم"⁹⁴.

يفهم من إشارات مصدرية أخرى اشتراك الرقيق في أعمال الحدادة، إذ جرت العادة أن يعهد حكام مدينة فاس إلى "الأسرى المسيحيين أن يصنعوا .. أدوات من الحديد وأشياء أخرى.. كانوا يصنعون الأسلحة والذخيرة"⁹⁵، وحسبما أورده ابن الأحمر⁹⁶ فإن الموالي الذين استقروا بالمغرب الإسلامي منذ الفتوحات الإسلامية المبكرة احتترفوا "سبك الحديد وآلة الحرب وصناعة النحاس.. وتسمير البهائم.. والضرب للدنانير والدرهم وحلى النساء .. وتصفية معدن"، مما يشي بتسرب الرقيق إلى العمل في معظم الصناعات المعدنية.

تم توظيف الرقيق في أعمال البناء، فقد اشتملت حقبتنا الدراسية على العديد من المدن والحواضر التي جد تأسيسها وتعميرها، مما تطلب حاجة ملحة إلى الأيدي العاملة، التي وفرتها تلك الأعداد الهائلة من الرقيق سواء عن طريق السبي أو التجارة، لا سيما وأن بعض هذه الحواضر مثل تاهرت وفاس والقيروان وغيرها قد ارتبطت بنشاط تجاري واسع خاصة مع بلاد السودان، التي اشتهر عبيدها بأنهم "يصلحون للأعمال الشاقة"⁹⁷. فتشير إحدى الروايات إلى دور الرقيق في عملية بناء مدينة تاهرت، حيث جاء وفد من البصرة لتقديم المعونة المالية لعبد الرحمن بن رستم، وحين دخلوا المدينة "ألفوا الإمام فوق دار يطينها، والعبيد يناولونه الطين"⁹⁸، ولما قدر للوفد ذاته العودة إلى المدينة بعد فترة وجيزة أخذتهم الدهشة لهذا الرخاء العمراني الذي تمتعت به تاهرت، والذي كان للرقيق الدور الأكبر فيه "وذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت والى بساتين قد غرست والى أرجاء قد نصبت والى حفدة قد اتخذت السور، والعبيد والخدام قد كثرت"⁹⁹.

وفي مدينة فاس عمد إدريس الثاني إلى توظيف الرقيق والاستفادة منهم في بناء المدينة وتعميرها، إذ أنه جمع "حشمه فأمرهم ببناء الديار.. فبنوا الديار.. والمسجد والسور"¹⁰⁰، وحسب إشارة أخرى شاركه في البناء "بعض خدمته"¹⁰¹ من "الصناع والفعلة والبنائين"¹⁰².

ولم يدخر الأغلبة وسعاً في الاستفادة من خدمات الرقيق المعمارية في مجموع الولاية الإفريقية، فقد تولى الرقيق بناء العديد من القلاع والحصون لصد غارات الروم على مدن البحر؛ حيث اعتاد أهل القيروان أن يخرجوا عبيدهم عند اشتداد الغارات "فابتنوا القصور على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد أهل القيروان للرباط فكثروا هنالك واستقلوا بمدينة سوسة"¹⁰³ "وأهل سوسة في الأصل عبيد لأهل

القيروان"¹⁰⁴ ولعل في الرواية القائلة بأن أحمد بن الأغلب "اشترى العبيد و... بنى بأرض إفريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد"¹⁰⁵ ما يؤكد على هذا الدور المعماري للقيق. وفي الإطار ذاته أستخدم العبيد في بناء أسوار هذه المدن الساحلية¹⁰⁶ ، ويبدو أن خبرة بعض الرقيق العمرانية في العصر الأغلبي لا سيما الصقالبة منهم قد رفعت بعضهم إلى مصاف العرافين والمشرفين على بعض المنشآت قد تصل إلى مدن بأكملها، فيذكر البكري¹⁰⁷ أن "خلف الخادم مولى زيادة الله بن إبراهيم .. هو المعروف ببناء المساجد والقناطر والمواجل"، كما برز دور مملوكه مسرور الصقلي الذي أشرف على بناء رباط سوسة المعروف بقصر الرباط عام 206 هـ/821م، حيث نقش على لوحة الرخام بأعلى مدخل المنار هذه العبارة "مما أمر به زيادة الله بن إبراهيم أطل الله بقاه على يدي مسرور الخادم موله سنة ست ومائتين"¹⁰⁸ ، وعهد الأمير الأغلبي أبو عقاب بن إبراهيم عام 223 هـ/837م إلى خادمه الصقلي "فتاة" ببناء المسجد الجامع بمدينة سوسة، فضلاً عن الجانب القبلي من سور المدينة، ولهذا نسب المسجد إليه فعرف بمسجد بوفتانة، كما نسب إلى هذا المملوك الصقلي وضع أركان القصبه التي وصل إليها السور المذكور، فلما تولى أبو العباس محمد بن الأغلب أسند إلى فتاه خلف مهمة إتمام بناء القصبه وزاد فيها المنار المنسوب إليه، وقد تم تسجيل أسماء هذين المملوكين بالخط الغليظ البارز على هذه الأشغال المعمارية¹⁰⁹ . كما أشرف خادم صقلي يدعى مدام عام 236 هـ/850م على بناء مسجد جامع آخر بالمدينة في عهد محمد بن الأغلب¹¹⁰ ، كما نسب إليه تجديد سور المدينة عام 249 هـ/863م¹¹¹ . وفي عام 250 هـ/864م أشرف خادم يدعى نصير على بعض الإصلاحات في مسجد الزيتونة بأمر من الخليفة العباسي المستعين بالله والأمير الأغلبي أبي الغرائق محمد بن أحمد، حيث كتب على نقش

المسجد تلك العبارة "مما أمر بعمله المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله .. على يد نصير مولاه سنة خمسين ومئتين"¹¹². وفي عام 269هـ/882م كلف إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب مملوكه شكر "الصقلي فابتنى الماغل الذي بجامع طرابلس من الجهة الجوفية والقبّة التي عليه"¹¹³، وهو ما ينسحب أيضاً على القنطرة التي عند مسجد الفحامين بالقيروان حيث تورع الفقيه حمديس القطان (ت289هـ/901م) عن المرور عليها لان الذي "بناها .. خدّم السلطان"¹¹⁴.

لم يكن الفاطميون اقل اهتماماً بتوظيف الرقيق في خدمة القطاع العمراني، فقد تولى العبيد عملية قطع الأحجار من الجبال ونقلها إلى المدن، وهكذا سجل المعز الفاطمي الشأن الكبير الذي بلغه "عبيده .. من سبي الروم .. من قطع الحجارة من الجبال بالمكان الذي لم يكن ملك من ملوك الدنيا قبله قد تقيماً فيه ذلك له"¹¹⁵، ولا يخفى ما تنطويه تلك العبارة من دلالة عن عادة حكام المغرب في تسخير العبيد في قطع الأحجار من الجبال، وأن ما افتخر به المعز هو قدرتهم على مباشرة هذا العمل في أماكن جبلية لم يصل إليها أحد قبله، ولعل فيما ذكره البكري¹¹⁶ عن جبل ازجونان الذي كان "يقطع فيه السودان"، وما أورده الداعي إدريس¹¹⁷ عن الإمام المنصور الذي أمر بحفر خندق حول معسكره في سفح أحد القلاع وابتناء مصلى، مما تتطلب نقل أعداد ضخمة من الحجارة عبر عمل شاق اضطره أن "قسمه على جماعات من الجند والعبيد"، ما يؤكد ذلك. كما ترد إشارة أخرى إلى قيام العبيد بقطع الأحجار ونقلها إلى المنصورية، فخلال مشروع الإمام الفاطمي المعز لإنشاء قصور ومنشآت أخرى بالمدينة أمر بنشر عمودين كبيرين بمدينة سوسة من الآثار القديمة بلغا من الضخامة أنه رأى "أن يحشد الناس إليهما من البلدان ويجلبوا من الآفاق، فما أفرد لذلك إلا طائفة من عبيده المماليك، وما أشرك معهم أحداً غيرهم،

فأتوا بهما"¹¹⁸ ، مما يفيد بتسخير أعداد كثيرة من العبيد لهذا الغرض، وهو ما تؤكدته الرواية ذاتها حين ذكرت أن العمودين أعجزا "كل من تقدم من ملوك افريقية في الجاهلية والإسلام تحريكهما من مكانهما، فضلا عن نقلهما".¹¹⁹

وبالمثل، امتلك عدد من العبيد خبرة ودرجة عالية من الدقة والإتقان في مجال البناء ما حفز الفاطميين على إسناد مهمة الإشراف على بعض المنجزات العمرانية إليهم، فعلى سبيل المثال، أشرف مدام الصقلي على بناء قصر المنصور بالمنصورية¹²⁰ ، وأشرف على تخطيط مدينة المسيلة "أحد خدم آل عبيد الله وعبيدهم"¹²¹ ، ومدينة الغدير "كان بناؤها وبناء صورها .. على يد مملوك لهم رومي يقال له بونياش"¹²² ، كما ترد إشارة عن دور العبيد في بناء القصر الكبير الذي بناه المعز بمدينة المنصورية.¹²³

لم تقتصر الاستفادة من الرقيق في مجال البناء على الساسة والمتنفذين، بل شاركهم في ذلك أبناء الأوساط الشعبية، فقد أرسل أهل نفوسة إلى الإمام عبد الوهاب بن رستم يستفتونه عن "الطين الذي عجنه العبيد بأرجلهم وقد نجست"¹²⁴ ، وكلف الفقيه الاباضي ابن يونس الوسيمي (ق3هـ/9م) بعض عبيده ببناء دار له¹²⁵ ، وكان للفقيه أبو الحسن الخولاني القيرواني (ق4هـ/10م) "خدام يضربون الطوب بأيديهم"¹²⁶ ، وحسب إشارة المالكي¹²⁷ كان بالقيروان مولى يدعى ابن أبي شحمة الأفريقي كان قبل عتقه "يعمل الطوب بيده .. [ب] الطين والتبن وما يصلح به عمل الطوب"، ورد إشارة تفيد باستخدام العبيد في بناء الدور وتبليط مجالسها بالرخام وتركيب أبوابها الخشبية"¹²⁸ ، كما تترد في كتب الفقه مسائل عمن "له غلام يعمل الفخار .. فيبيعه"¹²⁹ . وعمن قال "العبد ابن لي هذه الدار وأنت حر"¹³⁰ .

بالإضافة إلى أعمال التعدين والبناء وما يرتبط بهما كحرف شاقة، تم توظيف الرقيق في مهن أخرى مثل النسيج، فقد أشاد أبو حامد الغرناطي¹³¹ بمهارة الرقيق الرومي والصقلي في صناعة الثياب من الكتان، وهو ما تؤكدُه العديد من الإشارات، فقد كشف المعز الفاطمي عن درجة التطور في صناعة الثياب والتي تجاوزت الحدود المعهودة على يد عبيده الروم والصقالبة، حين رد على رسالة الناصر الأموي والتي افتخر فيها بما يحاك له في بلد الأندلس من الخز والوشي وأصناف الثياب التي لا يحاك بالمشرق مثلها، قائلاً "لو كان ذلك مما يفخر بمثله، لكان عندنا من الطراز أنواع الأعمال البديعة والصنعة العجيبة، لا يشك من رآه انه ما رأى مثله، مما يعملُه عبيدنا الذين أفاء الله عز وجل بهم علينا من سبي الروم بأسيافنا، دون من فخر هو بمثله من سائر الرعايا"¹³²، وهكذا تنافس الحكام والمتنفذون في ارتداء ملابس الحرير والخز والبسط التي يصنعها الرقيق، الذين تألقوا في العمليات الفنية والتقنيات الرفيعة إرضاء للأذواق الأرستقراطية، فقد بلغ المنصور الفاطمي درجة كبيرة من الإعجاب "بأعمال هؤلاء العبيد، وكثيرا ما كان يأمر .. بحفظهم ويقول: إن أعمالهم رياض موقنة"¹³³، وتشريفاً لقدر قائده جوذر أنفذ إليه الإمام الفاطمي بعد عتقه أن "يثبت اسمه في الطراز من أعمال العبيد الرقامين بالذهب فيما يلبسه الأئمة .. وكذلك أيضاً مما يعملُه العبيد الحصريون من عجب أعمالهم ومعجز صنعتهم"¹³⁴. ويبدو أن هؤلاء العبيد كانوا من سبي الروم والصقالبة، تشهد بذلك إشارة عند الجوزري يذكر فيها أن "وصفاء من الرقامين كانوا قد أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام .. وأقاموا على النصرانية". ويمكن أن نقدر مهارة هؤلاء الرقيق في رقم الثياب والبسط بالذهب وتزيينها به، من خلال ما ذكره الجوزري¹³⁵ أيضاً عن المعز الذين أرسل إلى قائده جوذر - بعد انتصار قائده الحسن بن عمار بين أبي الحسين في موقعة رمطة عام 353هـ/964م وأسره قائدا صقلييا من وجوه أعداءه، الذي يبدو أنه أعلن إسلامه

— أن "يتقدم إلى الحصريين بعمل حصير مصلى للصقلي المأسور ... ورسم لهم ما ينقشون في طرازها". وكانت العادة قد جرت حسبما سبق ذكره أن يكتب اسم جوذر على الطرز المنقوشة، فلم يذكر الإمام اسم جوذر في هذا الرسم تقديراً منه لضيق الموضوع، إلا أن مهارة العبيد هؤلاء قد أتاحت الفرصة لاتساع المكان فحمل اسم جوذر، حيث تقدم نصير الصقلي "إلى العبيد في ذلك، فلما بسطوا العمل بين أيديهم، اتسع الموضوع لهم لذكر الاسم على ما جرى به الرسم وذلك أن الحصير عمل بذهب وتأنق الصناعات في عمله"، وهكذا أثار هذا التأنق دهشة المعز حين رفع إليه العمل فبادر جوذر قائلاً له "ما جاء الحصير إلا غاية في الحسن والجودة وما منعنا أن نذكر اسمك في التاريخ إلا تقية ألا يتسع به الموضوع لكثرة الكلام، فأما إذ قد وسع فذلك أؤكد وأحسن عند القوم أنه من عبيدنا"، ولا يغيب عنا أن مهارة جوذر الصقلي وخبرته بأمور النسيج قد رفعته إلى درجة المشرف العام على الطرز الفاطمية، حيث تذكر إحدى الروايات أنه لما اعتزم على الانتقال إلى الموضوع الذي خصصه له المعز في قصره "احتاج إلى حصر رفيعة لفرشه، والحصريون يومئذ تحت يديه، فاستأذن ذلك، .. فرجع الجواب إليه: "استعملها لنفسك من خير السمات وأجور الصنعة"¹³⁶.

وقد بلغت ظاهرة إتقان الرقيق لصناعة المنسوجات وأحكام صنعها أن أدرجت مصنوعاتهم تلك ضمن قوائم هدايا أهل الرياسة والشرف عنواناً للجودة وحسن الإنتاج والتألق، ولا أدل على ذلك من تلك الهدايا التي أرسلها جعفر بن علي بن حمدون عام 360هـ/970م إلى الحكم المستنصر الأندلسي والتي كان من جملتها "ثلاث قباب من كتان وأربعة وأربعون خباء من كتان من أخبية العبيد"¹³⁷.

لم يقتصر دور الرقيق النسيجي على تلبية حاجيات المتنفذين من أهل الحكم والرياسة، بل امتد ليشمل أيضاً متطلبات الفئات العريضة من العوام وأغمار الناس

وسواد البوادي، فاستجابة لقدرات العامة المحدودة انحرفت المهارات الحرفية في هذا القطاع نحو الإبداع في مجال الإصلاح والترقيع ورفو الجنبات المتأكلة في الأثواب، ففي سبته اشتهر غلام مملوك ببراعته في رفو الثياب أنشد فيه الشاعر محمد بن عبد الله بن هارون السبتي ق 4هـ / 10م قائلاً:

يا رافياً قطع كل ثوب عسى بكف الوصال ترفو
ويا رشاً خيب اعتقادي ما قطع الحجر فيفؤادي.¹³⁸

وحسب رواية المالكي¹³⁹ كان لأحد نساء القيروان عبداً "رومياً .. كانت صنعتها عمل الغرايبيل"، كما تواترت التفاصيل عن "عبد نساج"¹⁴⁰ وعمن "يعلم الولد في المسجد، ويخيط له فيه عبد له الشواشي وغيرها من الثياب"¹⁴¹ وعمن "أخرج عبده يعمل بالنسيج وأعطاه نصف عمله، فطرح رجل إليه ثوبا بأجرة معلومة"¹⁴² وعن "امرأة لها زوج وهو عبد نساج"¹⁴³ وعمن "استأجر مملوك كل شهر بعشرة دراهم على انه يخيط له الثياب"¹⁴⁴، وعمن "تكارى غلمانا يخيطون الثياب في كل شهر بشيء مسمى"¹⁴⁵، وعن "عبد كان يعمل بنسج الثياب وأراد أن يتزوج من حرة فباع ثوبا لحر ببقرة وأعطاهما لزوجته"¹⁴⁶، وعمن "استأجر عبدا بغير إذن سيده للخياطة"¹⁴⁷، وعن "الرقيق .. ذوو الصناعات منهم .. من يقصر الملف والخياط والصباغ"¹⁴⁸.
وتفيد الاشارات المصدرية إلى قيام السادة بتأجير رقيقهم للعمل في مجال النسيج، حيث تشير كتب النوازل إلى رجل "تكارى غلمانا يخيطون له الثياب في كل شهر بشيء مسمى وهو يقاضى عليها الناس ويقطعها وهم يخيطون، فربما طرح على إنسان منهم شيئاً من الثبات ليخيطها في يوم على أن فرغ منها في يوم أو بعض يوم فله بقية يومه ذلك"¹⁴⁹، وطرحت في الساحة الفقهية مسألة "استئجار الرقيق لصناعة الثياب مقابل نصف العشر لسيده"¹⁵⁰، ومسألة استئجار صانع "للعمل في نسج

الكتان أو الحرير أو الخنز أو الأردية النسائية أو الرجالية... فإذا كان الأجير عبداً فلا بأس باستتجاره العشرة أعوام"¹⁵¹.

ويمكن أن ندرج في هذه الحرفة عمل الإمام في الغزل والنسج حيث ارتبط الغزل بالجواري في مجموع بلاد الغرب الإسلامي خلال فترة البحث¹⁵²، لكن بشكل لم يتعد نفعه الأسرة التي تنتمي إليها الجارية¹⁵³، فقد كان للفقيه القيرواني محمد بن مسروق (ق3هـ/9م) "جارية.. في بيته تغزل"¹⁵⁴، وكان للقاضي ميمون بن عمرو بن المعلوف (ت310هـ/922م) جارية "سوداء تغزل وتبيع غزلها وتطعمه"¹⁵⁵، كما كان للفقيه القيرواني عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني (ت394هـ/1003م) "ريقي يغزلون الصوف ويصنعون الشواشي"¹⁵⁶، وفي جبل نفوسة طرحت على الفقهاء نازلة تخص "الإماء إذا كن يقعدن على الطريق يعملن الصناعات مثل الغزل وغيره"¹⁵⁷، كما كان بالجبل امرأة يقال لها طوسة كان عندها "خادم.. تنسج لها"¹⁵⁸، وهو ما ينسحب أيضاً على امرأة أخرى تدعى أم الخطاب التي دخلت بيتها "فوجدت الجواري ينسجن.. وهن ثلاث عشرة جارية"¹⁵⁹.

وانطلاقاً من توظيف الرقيق في مجال النسيج، ناقش الفقهاء مسألة ضمان الثياب التي تفسد عندهم من حريق أو قرض فأر أو ضياع أو تلف، حيث أفرد ابن أبي زيد القيرواني¹⁶⁰ فصلاً تحت عنوان "في العبد يجنى أو يستهلك مالا وجنابته فيما يؤتمن عليه"، استعرض خلاله أقوال الفقهاء حول المسألة، فقد "اختلف في العبد يؤتمن فيتعدى فيما يؤتمن عليه فقيل هذا في ذمته وقيل في رقبته"¹⁶¹، فقد ذهب ابن الماجشون إلى أن "كل عدى كان من العبد فيما يؤتمن عليه من وداعة أو بضاعة أو ما استؤجر على عمله.. أو ما صار بيده بأذن أهله فذلك في ذمته، إلا في وجه واحد.. أن يتعمد.. قطع الثوب.. فهذا في رقبته"¹⁶²، بينما ذهب مالك إلى أن

"كل ما جنى العبد .. وما افسد أو ضمن وهو صانع في ذمته .. لان أصله أمانة"¹⁶³ ، "إلا أن يثبت انه لم يضيعه ولا فرط فيه"¹⁶⁴ .

اثبت الجوارى والإماء مهارة كبيرة في صناعة الطبخ و إعداد أنواع الحلوات، ففضلاً عما ورد عن "جارية طباحة .. من علية الرقيق"¹⁶⁵ ، كان بمدينة أودغشت "سودانيات طباحات محسنات .. يحسن عمل الأطعمة ولا سيما أصناف الحلويات مثل الجوزنيقات والوزينجات والقاهريات والكنففات والقطائف والمشهوات وأصناف الحلوات فلا يوجد احذق بصنعتها منهن"¹⁶⁶ ، وفي مدينة القيروان كان لدى الفقيه أبي الفضل العباسي الغدامسي (ت349هـ/960م) خادما ماهرة في عمل أصناف الحلوى حيث أنها صنعت له يوما "غسانية محكمة الصنعة وقباط ابيض نضيج ملّوز وغير ملّوز وفالودج وثرده حلوى بماء الورد والمسك والكافور"¹⁶⁷ . ولا شك أن تلك المهارة الفائقة كانت وراء ارتفاع أسعار مثل هؤلاء الجوارى¹⁶⁸ إذ كانت "تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكبر"¹⁶⁹ ، الأمر الذي حفز النخاسين على تدريب جواربهم على الطبخ وقيام المشترين بامتحان مستواهن فيه، إذ كان للطبّاحات منهن مستوى لا يرتضى عند البيع بأقل منه، ولا أدل على ذلك مما ذكره ابن بطّالان¹⁷⁰ بقوله "عمدة الطبخ على طيب المرق وجودة المزاج، فان اتفق للطبّاحة مع هذا جودة الصنعة وسرعة العمل فذاك غاية الأمل، وقل ما يتفق أن تكون كاملة في البوارد والشواء والطبخ والحلواء على أصنافها ..والذى يمتحنون به الا سفيد باجوا لديك بركة".

ويقدم السقطى¹⁷¹ منهجاً قريباً من هذا في اختبار جودة الطبخ على يد الطبّاحات من الإماء فيما يخص مجموع الغرب الإسلامي، فيذكر نفس الأطعمة التي تنتخب للامتحان ويعلل هذا الاختبار بأن "اباريزه كثيرة وتسود مرقته، وحكمه أن يكون أبيض، وشرطها طيب العرف وجودة المزاج، فان زاد على ذلك جودة الصنعة وسرعة

العمل فهي غاية الأمل، وقلما يتفق انطباعها في البوادر والشواء والطبخ والحلواء وأصنافها كثيرة".

ويبدو أن تلك الصنعة لم تكن قاصرة على الجوّاري وامتدت لتشمل الذكور من الرقيق¹⁷²، فقد تحدث صاحب مخطوط شراء الرقيق¹⁷³ عن شروط خاصة يجب توافرها في العبد الذي "يصلح للطبخ" كان على رأسها سلامة "حاستي الذوق والسمع .. فكلما كانت هذه الحواس سليمة في جوهرها ذكية في حسها كان الطباخ اقصد لعمل اللذيذ من الطعام"، وتتوفر على إشارات تثبت اشتغال العبيد بالطبخ في بلاد المغرب، فقد كان لولاية افريقية مطابخ خاصة يعمل بها العبيد حيث ذكر عياض¹⁷⁴ في ترجمته للزاهد القيرواني البهلول بن راشد (ت183هـ/799م) أنه شاهد العبيد وهم يطبخون ويحملون قدور الطعام المطبوخ في قصر الوالي ابن العكي. وكان بمدينة فاس فقيه يدعى أبو الحسن الكياهراس (ق5هـ/11م) "كان لأبيه عبيد يعملون الهريسة فنسب إلى ذلك"¹⁷⁵، كما ترد إشارة عن "غلام يطبخ هريسة"¹⁷⁶ وآخر "يقلى زلابية"¹⁷⁷.

احترف رقيق المغرب خلال فترة البحث عمل الجبن والخبز والخمور وعصر الزيتون والجزارة، فقد دخل الفقيه الاباضي يحيى بن يونس (ق3هـ/9م) على أحد أصدقائه "وعنده وضبان عظيمان مملوءان لبنا، لا يمحضهما إلا أمتان تمسك كل واحدة منهما بعروة من عرى الوضب لعظهما"¹⁷⁸، وكان للفقيه التلمساني علي بن محمد (ق4هـ/10م) "مملوكة سوداء تصنع الخبز وتبيعه بسوق المدينة، وكان يتصدق بما تأخذه المملوكة من الخبز"¹⁷⁹، وهو ما نجد له نظيراً بالقيروان حيث أشار الشريشي¹⁸⁰ إلى عمل بعض رقيق القيروان بصناعة الخبز وبيعه، وأكد ذلك ابن أبي زيد¹⁸¹ حين تحدث عن دور رقيق المدينة في العمل بمطاحن الحبوب والأفران. وفي

المدينة ذاتها ترد إشارات عن عمل الرقيق بصناعة الخمر وبيعها، فقد سئل ابن أبي زيد عن "بيع المماليك ممن يعصرون العنب خمراً"¹⁸²، وشغف ابن رشيق بغلام يعمل الخمر بإحدى الحانات فانشد فيه:

183
وشربتها من راحتيه كأنها من وجنتيه.

وكان الشاعر القيرواني عبد الوهاب بن محمد الأزدي (ت500هـ/1107م) "ألفعلاً ما نصرأيتاً خمراً"¹⁸⁴. وعن دور الرقيق في عصر الزيتون ذكر عياض¹⁸⁵ في ترجمته للقاضي الأغلبي عيسى بن مسكين (ت295هـ/907م) أنه كان "جالسا على دكان في المعصرة وخادم له يرد الزيتون والدابة تطحن". وعمل الرقيق بالجزارة، فحسب إشارة المالكي¹⁸⁶ أتى عقبة بن نافع بدود غنم لعسكره وعهد بذبحه وسلخه إلى الرقيق، ولما أمر كسيلة بالمشاركة معهم أخذته العزة قائلاً "أصلح الله الأمير، هؤلاء فتياي وغلماي يكفونني"، وسئل اللخمي (ت478هـ/1085م) عن "عبيد في الجزارة وذبح الأغنام بأسواق تونس"¹⁸⁷، كما طرحت في الساحة الفقهية مسألة حكم أكل الذبائح التي يذبحها الغلمان من أهل الكتاب¹⁸⁸.

اشتعل الرقيق بأعمال النجارة، إذ تفصح رواية ابن الأحمر¹⁸⁹ عن عمل العبيد بمجموع الغرب الإسلامي بـ"بحارة خشب وتزويق الخشب"، كما تتوفر على نازلة تشير إلى قيام العبيد بصنع المراكب. واستنادا إلى ذلك يمكن أن نستشف مشاركة الأسرى في إنشاء دار صناعة السفن التي أسسها حسان بن النعمان بتونس، فحسب رواية البكري¹⁹⁰ كتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز وإلى مصر أن "يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده.. وكتب إلى ابن النعمان أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر، وان يجعل على البربر جر الخشب لإنشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم إلى آخر الدهر، وان يصنع بها المراكب

ويجاهد الروم"، إذ لا نستبعد أن يكون أولئك الأقباط من رقيق مصر، وأن أولئك البربر الذين وضع عليهم شرط استجلاب الخشب هم الأسرى الذين آثرت القيادة العربية استبقائهم في تونس والاستفادة من خبرة بعضهم في هذه الصناعة، لا سيما وأن طرفا كبيرا من سبي حسان بن النعمان كانوا من أهل تونس ممن لهم دراية بصناعة السفن حيث "كانت لهم مراكب كثيرة"¹⁹¹. وفضلا عن هذه الرواية الظنية فإننا نتوفر على إشارات أخرى تؤكد على توظيف الرقيق في صناعة المراكب، فقد انتدب المعز الفاطمي خادمه جوذر الصقلي ومن تحت يديه من المماليك الصقلية "في إقامة عشرة صنادل من القارب الكبير"¹⁹²، كما شارك الرقيق السودان في المهمة ذاتها إذ لما أراد الإمام الفاطمي مهاجمة الروم أمر بصناعة المراكب "وكلف في ذلك بعض السودان"¹⁹³ واسند إليهم مهمة تثقيلها بالرخام حتى تصمد لأموج البحر فاقتلعوا رخام المقابر "ورفدوا بها المقابر"¹⁹⁴، ولعل فيما ذكره ابن حيون¹⁹⁵ من كثرة المراكب المصنوعة حتى "تضايق داري الصناعة بالمهدية بالمراكب وكثرتها وما زاد منها وأن الدارين قد غصتا بها" ما يدل على وفرة الرقيق المستخدم في إنشاء هذه المراكب.

كان من بين مهن الرقيق العمل في الحمامات، فقد سئل سحنون عن "الرجل يكون له الحمام وفيه الرقيق يقومون بأمره"¹⁹⁶. ويبدو أن العادة قد جرت على آكراء الحمامات برقيقها، حيث سئل الفقيه ذاته عن له حمام "فاكراه رجلا برقيقه"¹⁹⁷، وأبرزت النازلة هذا الدور من خلال تعرضها لوفاة الرقيق المكربى، واثرت ذلك على انفساخ الكراء، فجاءت الفتوى بأنه "إن مات الرقيق .. وبقى الحمام كان الكراء بحاله .. وإن كان الحمام انهدم والرقيق باقية انفسخ الكراء في الرقيق والحمام"¹⁹⁸، مما يشير إلى مخاطر معينة يتعرض لها الرقيق قد تودي بحياته، ومعها فلن يصعب على رب الحمام سد حاجته من الرقيق المفقود، ولنا أن نقدر أهمية دور الرقيق في الحمامات من

خلال ما أفصحت عنه مصادر الفترة من ارتفاع قيمة كراء الحمام حالة تضمينه عددا من الرقيق حيث "يكرى الحمام بالرقيق خمسين دينارا، ودون الرقيق عشرة"¹⁹⁹.
 وفضلا عن ذلك تتوافر معلومات أخرى للتأكيد على هذا النشاط، ففي القيروان ترد وثيقة عن عمل الرقيق بأحد حمامات المدينة ويسمى حمام الحاجب²⁰⁰ وهو ما أكدته مروية تاريخية تتعلق بترجمة الفقيه عبد الله بن محمد (ت 307هـ/919م) والذي دخل احد حمامات المدينة فأمر صاحب الحمام أحد الخدم قائلا "خذ هذا السطل، فإذا صب الماء الحار فاملأه من الميزاب ثم صب الماء الحار على بدنه فضبه، ثم دعا الخادم فقال له هلم بالنار فأناه بما تتوقد .. حتى بخر عشرين رجلا واحدا فواحدا"²⁰¹،
 وأشار الوزان²⁰² إلى قيام الرقيق في حمامات مدينة فاس بغسل جسم المستحم وتنظيفه، وهو ما ينسحب على فترة البحث حيث ترد إشارة في كتب التراجم تفيد بدور الرقيق في خدمة الواردين على حمامات مدينة فاس خلال القرن الرابع الهجري²⁰³، وحسب إشارة الداعي إدريس²⁰⁴ كان بالمهدية الفاطمية حمامات يقوم على إصلاحها العبيد، وهكذا جرت العادة أن يدخل المرء الحمام ويمكث فيه "بمقدار ما يفرغ الخادم من تنظيف جسم المستحم من غير أن يباشر هو من أمور نفسه شيئا"²⁰⁵.

يندرج تحت عمل الرقيق بالحمامات عمل آخر وهو الحمامة، إذ ترد إشارات عمن "احتجم وأعطى الحمام أجره وكان مملوكا"²⁰⁶، وعمن "اشتري خادما حجاما"²⁰⁷، وعمن "لم يعط الحمام المملوك أجرته في يومه وتأخرت إلى الغد"²⁰⁸، وعمن أذن "العبد حجما أن يحجمه أو يحنثه"²⁰⁹. ولا شك أن عزوف الأحرار عن مزاوله تلك المهنة التي لقيت نظرة دونية من أفراد المجتمع، جعلها شديدة الارتباط بالرقيق²¹⁰ ولعل في هذا السؤال الذي وجهه الإمام المهدي للرجل الذي حجمه

بمدينة توزر أثناء رحلة هروبه "هل هو حر أو مملوك"²¹¹ ما يكشف عن هذا الارتباط. ودعا الاهتمام بهذه الحرفة - نتيجة انتشارها - أهل الحسبة إلى بيان خصائص المطلعين بها والإشارة إلى المهارات الخاصة الواجب توافرها فيهم وأوجبوا "أن يكون الحجام خفيفا رشيقا، خبيرا بعملها، فيخف يده في الشروط ويستعجل ثم يعلق المحجمة .. وعلامة حذاقة الحجام خفة يده"²¹².

فضلاً عما سبق، أسندت إلى الرقيق أعمال وضيعة أخرى مثل إفراغ الغائط من الدور²¹³، فقد أشار ابن حيون²¹⁴ إلى تولي بعض العبيد في المهديّة "كسح المراحيض والازبال"، وأخذت بعضهم الأنفة من هذا العمل مما أثار حفيظة المعز الفاطمي فصرح قائلاً "ربما أردنا أن نستعمل بعض رجالنا وعبيدنا على العمل فيستقله .. ويحتقره ويرى نفسه فوق ما ندبناه"²¹⁵. ويجد هذا الموقف تبريراً من خلال ما ذكره صاحب الاستبصار²¹⁶ عن هذه النظرة الازدرائية لهذه الحرفة حتى أن الناس كانوا "يسمون الكنافين عندهم المجرمين .. لاجترامهم على حرفة موقوفة على اليهود"، ويمكن الوقوف على بعض تفصيلات تلك الحرفة من خلال كتب الحسبة، حيث أشارت إلى استخدام ممتنّيها "القفف"²¹⁷، التي لا ترشح أو "أكوابا"²¹⁸ "كبارا يحمل كل كوب اثنان منهم .. ويكون بيد احدهم جرس يشعر به الناس"²¹⁹.

كما اشتعل الرقيق بتغسيل الموتى²²⁰ ودفنهم إذ ترد إشارة عن رجل مات ف"دفع الى عبيد فدفنوه"²²¹، وكحمالين لنقل البشر والبضائع، حيث أورد ابن أبي زيد²²² نازلة عمّن "قال لعبده اعمل على هذه الدابة .. فعمل الغلام على الحمار وعنف عليه وحمله فوق طاقته حتى مات الحمار"، وناقش الفقهاء مسألة ضمان الحمال إن كان عبداً وذهبوا إلى القول بان "ذلك في رقبته"²²³.

وحرصاً على استغلال طاقات العبيد ترد إشارات عن تجنيدهم لخدمة المساجد والقيام عليها، إذ كان من أهم ما يحتاج إليه المسجد "حصر وإمام وخدام"²²⁴، واختص أولئك العبيد في الأساس بسقي الماء وخدمة المسجد والكنس والفرش والوقود وفتح الباب وغلقه وحفظ الحصر والقناديل²²⁵. وتتوفر بهذا الخصوص على نازلة هامة سئل من خلالها سحنون عن رجل قام فجمع من قوم مالا على أن "يشترى مملوكا يقوم باستقاء الماء في المسجد الجامع ويخدم فيها، فاشترى .. مملوكا بالغا فكان يسقى الماء في السقاية ويخدم ويرش السنين"²²⁶، وكانت مشاق هذه الأعمال وراء تعاضى المملوك وتخليه عن الخدمة والامتناع عن القيام بها "فباعه المحتسب واشترى آخر مكانه"²²⁷. وأجاز الفقهاء تقديم العبيد كأجاس على المساجد²²⁸، وهكذا تتوالى إشارات عن "حبس عبداً للمسجد"²²⁹، وعن "العبد المثبس في المسجد في خدمته"²³⁰ وعن "العبد الموقوف على مسجد"²³¹ وعن "العبد المثبس في خدمة المسجد"²³². ولجأ بعض الأشخاص إلى التملص من النفقة على العبيد الذين تتعثر مؤاجرتهم من خلال حبسهم على المساجد للخدمة²³³.

وعمل آخرون في زراعة الأراضي الموقوفة على المساجد ممن عرفوا بـ"رقيق الحائط"²³⁴، واشترط بعض السادة على عبيدهم العمل في تلك الأراضي مدة معلومة ثم يعتقدون بعدها²³⁵. ويبدو أن بعض العبيد كانوا يتخلفون عن أداء تلك المهام المؤكدة إليهم، أو تبدر منهم السرقة والإباق، مما دفع القائمين على المساجد إلى بيعهم واستبدالهم بآخرين يقومون مقامهم²³⁶، وهو ما أجازته الفقهاء إذا كان على وجه النظر والاجتهاد²³⁷.

وحرصاً على صحة الحبس بشكل كامل استثنى بعض المثبسين في وثيقة حبسهم للعبيد "أن يُباع ما خبث منه وما فسد"²³⁸. وأجاز الفقهاء بيع من هرم منهم وعجز عن الخدمة، ليشترى بثمنه آخر يصلح لها²³⁹، وأوجبوا على من قتل عبداً

محبساً أن يؤدي قيمته ليُشترى بها مثله²⁴⁰، وفي حال انعدام المحبَس عليه العبيد فإنهم يرجعون إلى المحبَس أو أقرب الناس إليه حال وفاته²⁴¹. وأثيرت مسألة نفقة العبد المحبَس على من تكون؟ وهل للقائم على المسجد أن يزوجه إن أراد؟ فجاءت الفتوى بأن نفقته من بيت المال²⁴²، أما عن زواجه فلم يلزم الفقهاء متولي المسجد على ذلك لأنه لا مصلحة في تزويجه لما يترتب عليه من المهر والنفقة والكسوة وغيرها²⁴³.

وفضلاً عما تقدم فإن مطالعة لتراجم الفقهاء والعلماء من الموالي الذين انتسبوا هم أو آباؤهم أو أجدادهم إلى صنعة معينة²⁴⁴، قد تنهض دليلاً على نشاط الرقيق الحرفي، مثل سليمان بن سالم (ت 281هـ/894م) المعروف بابن الكحالة نسبة إلى عمل أمه وصنعتها²⁴⁴، واحمد بن داوود (ت 291هـ/904م) المعروف بالصواف²⁴⁵، والفقهاء نفيس السوسى الغرايلى (ت 300هـ/912م) والذى انتسب إلى مولى رومي "كانت صنعته عمل الغرايلى"²⁴⁶، وسعد بن محمد بن صبيح الحداد (ت 302هـ/914م) والذى نسب إلى صنعة أبيه، وأبو الأسود بن حبيب (ت 306هـ/918م) والذى عرف بالقطان²⁴⁷، ومحمد بن الفرج (ت 307هـ/919م) والذى نسب إلى صنعة أبيه فعرف بابن البناء²⁴⁸ واحمد بن خالد (ت 330هـ/941م) والذى عرف بالدباغ نسبة إلى صنعة أبيه²⁴⁹، وعبد الله بن مسرور التجيبي (ت 346هـ/957م) والذى اشتهر بصنعة أبيه وهى الحمامة فكان يقال له ابن الحمام²⁵⁰.

خلاصة القول:

إن مجالات عمل الرقيق قد تعددت بين صناعات شاقة مضنية كالعمل بالمناجم والبناء والنجارة وأخرى لا تتطلب جهداً كبيراً كالنسيج والطبخ وبعض الحرف الغذائية كعمل الخبز والجبن والخمور وعصر الزيتون، ثم أخيراً بعض الحرف الوضيعة

التي انف السادة من العمل فيها كالعمل في الحمامات وتغسيل الموتى والحمامة وإفراغ الغائط، حيث جمع بين هذه الأشكال المتعددة رغبة المجتمع في الاستفادة المطلقة من جهود الرقيق، ولعل في فتوى ابن سحنون²⁵¹ بخصوص "عبد يهودي وأمة يهودية يجبران على العمل يوم السبت، قال: نعم يجبران على العمل يوم السبت ولا اثم في ذلك، والعبد النصراني يجبر على العمل يوم الأحد لا يترك العمل يوم الأحد .. والمسلم يجبر على العمل يوم الجمعة" ما يؤكد ذلك.

¹ فهناك عشرات الدراسات التي تناولت العبيد في تاريخ المغرب الحديث، انظر هذه الدراسات عند: بل الفايدة عبد العزيز ومحمد الغرايب: "بيبلوغرافيا حول تاريخ العبيد في المغرب"، ضمن أعمال الندوة الوطنية الرق في تاريخ المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، ص ص 231-246.

² سبقنا إلى هذه الحقيقة بعض من الدارسين لظاهرة الرق الإسلامي. انظر مثلاً:

Lewis B: Race and color in Islam, London, 1971, p. 14, Talbi M: "Droit et Economic en ifriqiya au III/ IX' Siecle, le paysage agricole et le rôle des esclaves dans l'economie du pays", pp. 185-229 .

مقال بكتابه "دراسات في تاريخ افريقية وفي الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط"، منشورات الجامعة التونسية، سلسلة 4، مجلد 26، 1982، Savage E: "Berbers and Black's: Ibadī Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992, p.356. دراسة الترماني الذي اضطرت له صعوبة الموضوع إلى إقصاء الدور الاقتصادي للرق رغم تناوله ماضي الرق وحاضره.

- ³ الحبيب الجناحي: المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية - ق 3-4هـ / 9-10م، الدار التونسية للنشر، 1977م، ص 29، 30.
- ⁴ إبراهيم القادري: مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ضمن كتابه الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص 244.
- 5 عبد السلام الترماني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، العدد 32، 1985، ص 22، 23.
- 6 كتابه في السياسة، نقلا عن عبد الإله بنمليح: الرق في المغرب والأندلس خلال القرنين 5، 6 هـ، أطروحة دكتوراه الدولة في الآداب تخصص تاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، 1999-2000 م، ص 320.
- 7 ابن خلدون: المقدمة، ط 11 دار القلم، بيروت، 1992، ص 406.
- 8 الوزاني: النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والحضر، صححه عمر بن عباد، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1999، ج1، ص 58.
- 9 البرزلي: جامع مسائل البيان لما نزل بالقضايا من الاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 88 فقه مالك مصورة عن الخزانة العامة بالرباط، ج3، ورقة 106.
- 10 إخوان الصفا: الرسائل، ج1، ص 216.
- 11 ابن حزم: الرسائل، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ج1، ص 403.
- 12 مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 9732، ميكروفيلم 10988، ورقة 30، مجهول: خطط مدينة فاس، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 610 بلدان، ميكروفيلم 9989، ورقة 10.
- 13 ابن الخطيب: مثلى الطريقة في زهر الوثيقة، تحقيق عبد المجيد تركي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 95.
- 14 صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ط. مطبعة السعادة، مصر، (د.ت)، ص 13.
- 15 نفسه، ص 15.
- 16 بنمليح: م.س، ص 320،

Anene (Y.C): "Slavery and Slave trade", in Africa in the nineteenth and twentieth centuries, press, P.94, Wills: 90- Willis (R.J): "The Ideology of enslavement in Islam" in Slaves and Slavery in muslim Africa, p.5, Savage (E): "Berbers and Black's: Ibadi Slave Traffic in eighth – century North Africa", in Journal of African history, t.33, 1992, P. 354.

17 انظر على سبيل المثال النواجي: مراتع الغزلان في صف الغلمان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 756 تاريخ حيث افرد باباً بعنوان "في أصحاب الحرف الصنائع"، الموسوي: أوصاف ألف غلام و غلام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 1039 أدب، حيث خصص بابا تحت عنوان "من اشتهر منهم بالعلوم والصناعات"، مجهول: شرى الرقيق، والذي عنون فضلا ب "من يصلح للصنائع من الرقيق"، ابن بطلان: م.س، والذي أفرد فضلا بعنوان "ما يعتبر به أرباب الصنائع من العبيد والإماء".

18 نذكر على سبيل المثال كتاب "الفراسة والسياسة في امتحان من يباع من الرقيق بصناعة" لمؤلف يدعى أبو العباس ذكره مجهول: شراء الرقيق، ورقة 243.

19 المرادي الحضرمي: السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق، سامى النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1981، ص 78.

20 ابن حيون المغربي : المجالس والمسائرات، تحقيق مجموعة بإشراف محمد اليعلاوي، ط2. دار الغرب الاسلامي، ، 1997، ص 167.

21 نفسه.

22 ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام، ط. المطبعة العامرة الشرفية، مصر، 1301هـ، ج 2، ص 179.

23 ابن الحوارى الاباضي: جامع ابن الحوارى، ط. عمان، 1985، ج3، ص 88.

24 ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الاندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط. دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 197.

- 25 ابن أبي زيد القيرواني: النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد عبد العزيز الدباغ، ط. دار الغرب الاسلامي، 1999، م12، ص 327.
- 26 الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلام، بيروت، 1981م، ج8، ص 293.
- 27 ابن فرحون: م. س. ج1، ص 159.
- 28 ابن رشد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة المعروفة بالعينية، تحقيق محمد حجي واخرون، ط2 دار الغرب الاسلامي، 1988، ج7، ص 183.
- 29 نفسه، ج7، ص ص 184، 185.
- 30 عياض: التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلط، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 216 فقه مالك، ج3، ورقة 107.
- 31 ابن أبي زيد: م.س، م13، ص 290.
- 32 السجلماسي: شرح نظم العمل الفاسي، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب تحت رقم 97 فقه مالك، ميكروفيلم 3556، ورقة 33.
- 33 ابن أبي زيد: م. س، م13، ص 290.
- 34 الدباغ: معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، تحقيق ابراهيم شيوخ وآخرين، ط. مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ج3، ص 113، حيث ذكر انه عبد من عبيد الفقيه القيرواني عبد الرحمن النفزاوي ت386هـ/996م
- 35 خليل بن اسحق: م.س، ص 173.
- 36 ابن أبي زيد القيرواني: م. س، م13، ص 290.
- 37 الحميري: كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2 بيروت، 1980، ص 330.
- 38 مؤلف مجهول: كتاب في الجغرافيا، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 46 بعثة المعهد الاولي إلي المغرب، ورقة 99.

- 39 مارمول كاربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988، ج2، ص 157.
- 40 تاريخ افريقية والمغرب، ص 187، ثم تابع الرواية ذاتها عند النويري: م.س، ج24، ص 102.
- 41 ابن حيون: م.س، ص 180.
- 42 مختصر كتاب البلدان، نشرة دي غويه، ط ليدن، 1886، ص136.
- 43 تحفة الأبواب ونجبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، ط. دار الأفاق، المغرب، 1993، ص ص 70، 71.
- 44 مؤلف مجهول: التحقيق في شراء الرقيق، مخطوط بمعهد المحفوظات العربية تحت رقم 15/اجتماع، ورقة 37، 38.
- 45 ابن بطلان: رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954، ص 377.
- 46 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 243.
- 47 المتيطي الفاسي: النهاية والتمام في الوثائق والاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 119 فقه مالك، ورقة 13، ابن فرحون: م.س، ج1، ص 192.
- 48 الشيزري: الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العربي، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1946، ص 84.
- 49 ابن هارون الكناي: اختصار النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 193 فقه مالك، ورقة 104، ابن رشد: م.س، ج8، ص 358.
- 50 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 243.
- 51 السقطي: في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، ط. باريس، 1931، ص 48.
- 52 النفزي: الطرر الموضوعة علي الوثائق المجموعة لابن فتوح البنتي، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 44 فقه مالك مصورة عن نسخة الاسكوريال، ورقة 56.

- 53 الوثائق والسجلات، تحقيق شالميتاو كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي والمعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1973، ص ص 55، 56، المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط. مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997، ص 299.
- 54 ابن العطار: م. س، ص 55، المراكشي: م. س، ص 298.
- 55 الكدومي: المفيد من أحكام أبي سعيد، ط. وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1985، ج3، ص 255.
- 56 المسالك والممالك، ط. ليدن، 1927، ص 37.
- 57 ابن رشد: م. س، ج8، ص 260.
- 58 م. س، ج7، ص 182.
- 59 نوازل، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 21582 ب ميكروفيلم 16952، ورقة 87.
- 60 الخشني: قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص 31، بنمليح: م. س، ص 321.
- 61 القرطبي: تفسيره، دار الريان للتراث، (د. ت)، ج6، ص 4638، ص 331، ابن أبي زيد: م. س، م 13، ص 64، ابن ربيع: معين الحكام على القضايا والأحكام، تحقيق محمد بن قاسم بن عياد، ط. دار الغرب الاسلامي، 1989، ج2، ص 848.
- 62 المدونة، ج7، ص 10.
- 63 ابن هشام الازدي: المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الاحكام، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 1/1 مصورات الاسكوريال، ورقة 52.
- 64 النزوي: المصنف، تحقيق سالم الحارثي، ط. وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1403هـ، ج30، ص 177.
- 65 العاملي: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق محمد السرازي، دار إحياء التراث العربي، ط. بيروت، (د. ت)، ج16، م 1، ص 84.
- 66 ابن العطار: م. س، ص 238.
- 67 نفسه، ص 249.

- 68 نفسه، ص 304.
- 69 م.س، م13، ص 290.
- 70 نفسه، م12، ص 396.
- 71 ابن العطار: م.س، ص 538.
- 72 الونشريسي: م.س، ج5، ص 282، الوزاني: م.س، ج10، ص 345، ابن ربيع: م.س، ج2، ص 621.
- 73 ابن فرحون: م.س، ج2، ص 218.
- 74 موريس لومباور: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص 288.
- Lewis (B): Race and color in Islam, London, 1971, pp 75
75, 76, Mauny (R): Tableau géographique de l'ouest africain
au moyenâge, d'après les sources écrites, la tradition et
L'archéologie, Dakar, 1961p. 358.
- 76 ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق طلال حرب، ط. بيروت، 1987، ص 658.
- 77 القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 26، ثم تابع:
*Maunny R: op. cit, p. 350, McDougallE: " The View from
AwDaghust : War , trade and Social change in the
Southwestern Sahara from the Eighth to the Fifteenth
century", The journal of African History, .t 26, 1985, p. 26.*
- 78 صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 98.
- 79 كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندرى فيري، ط. وزارة الثقافة، تونس،
1992، ج2، ص 866، ثم قارن 321-336. *Mauny R: op. cit, pp.*
- 80 مؤلف مجهول: ذكر بلاد افريقية وحدودها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 80
جغرافيا غير مفهرس، ورقة 11.
- 81 السجل ماسي: م.س، ورقة 62.

82 كتاب في انساب المغرب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 45 بعثة المغرب الأولى إلى الرباط، ورقة 9.

83 مؤلف مجهول: كتاب في الجغرافيا، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 46 بعثة المعهد الاولي إلى المغرب، ورقة 102.

84 ابن بطوطة: م.س، ص 678، بنمليح: م.س، ص 324.

85 البلدان، ط ليدن 1891-1892، ص 334،

Lewis:op.cit pp. 65,66.

86 المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ليدن 1967، ص 239، ابن حوقل: م.س، ص 77.

87 م.س، ج2، ص 848.

88 ابن عذارى: كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، الاجزاء، تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 ج1، ص 142، ابن الآبار: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 1985، ج1، ص 177، محمود إسماعيل: الادراسة " حقائق جديدة"، مكتبة مديبولي، القاهرة، 1991، ص 76، توفيق بن عامر: الحضارة الاسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، المجلد 6، ص ص 547، 548، -54،

Marcais (G): La BerberieMusulmane et L'orient au Moyen age, Paris, 1946,p. 82, L'ArchitectureMusulmaneD'ociden: Tunisie ,Algerie, Maroc, espagne et Sicile, Paris, 1954, pp. 6-7, Lavoix H: Catalogue de monnaiesMusulmanes de La Bibliothequenationale, Espagne et Efrique, paris, 1841, pp. 351-362, VonderheydenM: Le Berberie Orientale sous la Dynstie des BanouL'arlab, 800-909, paris, 1927, p.171.

89 سيرة الاستاذ جودر " وبه توقيعات الائمة الفاطميين"، تحقيق محمد حسين كامل، ومحمد عبد الهادي شعيرة، ط. دار الفكر العربي، مصر، 1954، ص 91.

- 90 اليماني: 10م سيرة جعفر الحاحب، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، م 4، ج2، 1936، ص 122.
- 91 القفطي: إنباه الرواة علي أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، ج1 1950 ص 258، ابن رشيق: انموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، ط.الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1986ص 439، ياقوت الحموي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980، ج8، ص 122.
- 92 ابن رشيق: ديوانه، جمع وترتيب عبد الرحمن باغي، ط. دار الثقافة، بيروت، (د.ت.)، ص 168.
- 93 ابن أبي زرع: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط. دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط 1973، ص 45، الجزنائي: جنى زهرة الأُس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1967، ص 23.
- 94 السجل ماسي: م.س، ورقة 33.
- 95 مارمول كاربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ط. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988، ج2، ص 157، ثم تابع ابن سعيد عن امتهان السودان لصناعة الأسلحة خاصة القسي والسهم، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، 1970، ص 91.
- 96 وآخرون: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، 1972، ص ص 24، 25.
- 97 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 47.
- 98 تراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس الهجري"، تحقيق ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، م 30، 1995، ص 45، ثم تابع الرواية عند ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، ط. دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 33، أبو زكريا: كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن ايوب، ط.الدار التونسية للنشر، 1985، ص 88، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، قسنطينة، 1974، ج1، ص 45.

- 99 ابن الصغير: م.س، ص 38، ثم تابع *Savage: op. cit, p. 366*.
- 100 ابن أبي زرع: م.س، ص 30.
- 101 م.س، ص 45.
- 102 نفسه.
- 103 السراج: الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط. دار الغرب الإسلامي، 1984م، ج1، ص 288.
- 104 نفسه
- 105 ابن الاثير: الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ج6، ص 66.
- 106 الازموري: بجهة الناظرين وانس العارفين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 437، تاريخ، ورقة 16.
- 107 المسالك، ج1، ص 486.
- 108 *Greswell K.A.C: A short account of early Muslim architecture, pelican Books, 1958, p.232.*
- 109 حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بافريقية، مكتبة المنارة، تونس، 1966، ج2، ص ص 45، 66.
- 110 التجاني: م.س، ص 26.
- 111 نفسه.
- 112 *Zbiss M.S.: Corpus des Inscriptions arabes de Tunisie, Tunis, 1955, pp. 27-28.*
- 113 التجاني: م.س، ص 254.
- 114 المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ج1، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، 1951، ص 394.
- 115 ابن حيون: م.س، ص 181.

- 116 م.س، ج2، ص 848.
- 117 تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب "من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار " ، السبع الخامس، تحقيق فرحات الدشراوى، ط. تونس، 1979م ، ، ص 252.
- 118 ابن حيون: م.س، ص 36.
- 119 نفسه.
- 120 المقرئزي: المقفى الكبير، ج2، ص 161.
- 121 ابن حوقل: م.س، ص 85.
- 122 ابن حماد: اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول احمد البدوى، ط. المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984، ص 42.
- 123 ابن حيون: م.س، ص 296.
- 124 البارونى: أخبار مشايخ أهل الدعوة، مخطوط بمركز جهاد الليبيين، تحت رقم 2118، ورقة 5.
- 125 البغطورى: م.س، ورقة 45.
- 126 عياض: م.س، ج3، ص 369.
- 127 م.س، ج1، ص 303.
- 128 ابن سهل: م.س ج1، ص 430.
- 129 المدونة، ج3، ص 39.
- 130 ابن أبي زيد: م.س، م13، ص 65.
- 131 عجائب البلدان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 36 جغرافيا، ورقة 13.
- 132 ابن حيون: م.س، ص 167.
- 133 الجوذرى: م.س، ص 52.
- 134 نفسه.
- 135 نفسه، ص 88، 89.
- 136 نفسه، ص 100، السامات مفردتها سامة وهى عروق الذهب والفضة التي تستعمل في نسج الحصر. انظر المحقق ص 183 هامش 109.

- 137 ابن حيان: المقتبس، ص 40.
- 138 ابن دحية: المطرب من أشعار اهل المغرب، تحقيق إبراهيم الايبارى وآخرون، القاهرة، 1954، ص 88.
- 139 ابن دحية: م.س، ص 88.
- 140 ابن أبي زيد: م.س، م 13، ص 209.
- 141 المازوني: م.س، ج2، ورقة 89.
- 142 الرستاقي: م.س، ج17، ص 41، الكدمي: م.س، ج3، ص 273.
- 143 الكدمي: م.س، ج3، ص 13.
- 144 ابن غانم الصفري: المدونة الكبرى، ط. عمان، 1984، ج1، ص 126.
- 145 ابن رشد: م.س، ج8، ص 412.
- 146 القصرى: نوازله، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 144، بعثة المعهد الى موريتانيا، ورقة 97.
- 147 عياض: م.س، ج3، ورقة 106.
- 148 السجلماسى: م.س، ورقة 33.
- 149 ابن رشد م.س، ج8، ص 412.
- 150 المازوني م.س، ورقة 77.
- 151 المراكشى: م.س، ص 477، 478.
- 152 ابن حيان: المقتبس، ص 194، ابن رشد: م.س، ج7، ص 183، ج8، ص 487.
- 153 ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج1، ص 324.
- 154 المالكي: م.س، ج1، ص 127.
- 155 الأنصاري: معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 205 تاريخ، ورقة 162، المالكي: م.س، ج2، ص 180، الدباغ: م.س، ج2، ص 357.
- 156 الأنصاري: م.س، ورقة 164.

- 157 افلح بن عبد الوهاب : م . س ، ورقة 34.
- 158 الوسياني: سير أبي الربيع الوسياني، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 9113 ح، ميكروفيلم 3271،، ورقة 180.
- 159 الشماخي: م.س، ص 77.
- 160 م.س، م13، ص ص 292 – 294.
- 161 م.س، نفس الجزء، ص 292.
- 162 نفسه.
- 163 نفسه.
- 164 المراكشي: م.س، ص 592، ثم قارن خليل بن اسحق: م.س، ص 173.
- 165 ابن العطار: م.س، ص 56، المراكشي: م . س، ص 300.
- 166 مجهول: الاستبصار،، ص 216، البكري: م.س، ج2، ص 849، الحميري: م.س، ص 64.
- 167 المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ج 2، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م، ص ص 448، 449.
- 168 Fisher (Humphery): Slavery in the History on Muslim Black Africa, London, 2001, P.202
- 169 البكري: م.س، ج2، ص 849.
- 170 رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954،، ص 386. وانظر معنى هذه المطهيات عند المحقق، نفس الصفحة هامش 45.
- 171 في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، ط. باريس، 1931،، ص 53.
- 172
- Savage: op. cit, P.354.*
- 173 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 249.

- 174 ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص 332.
- 175 ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الاول، تحقيق محمد بن شريقه، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ج5، ق 2، ص 584.
- 176 مجهول: شراء الرقيق، ورقة 252.
- 177 نفسه.
- 178 الدرجيني: م.س، ج2، ص 318.
- 179 البادسي: المqvسد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 2061 تاريخ، ورقة 26.
- 180 شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للنشر، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص 372.
- 181 م.س، م 12، ص 330.
- 182 البرزلي: م.س، ج2، ورقة 9.
- 183 ابن رشيق: الامنودج، ص 11، ديوانه، ص 211، ابن ظافر: بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص 40.
- 184 الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج19، ص 220.
- 185 المدارك، ج3، ص 227.
- 186 م.س، ج1، ص 26.
- 187 البرزلي: م.س، ج4، ورقة 30.
- 188 المدونة، ج3، ص 227.
- 189 م.س، ص ص 24، 25، ثم تابع الداعي إدريس: م.س، ج6، ص 90.
- 190 م.س، ج2، ص 695، ثم تابع الرواية عند الرقيق القيرواني: : قطعة من تاريخ أفريقيا والمغرب، تحقيق عبد الله العلي وعز الدين موسي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 36.

- 191 ابن عذارى: م.س، ج1، ص 35.
- 192 الجوذري: م.س، ص 98.
- 193 المالكي: م.س، ج1، ص 400، عياض: مدارك، ج3، ص 239.
- 194 المالكي: نفسه.
- 195 م.س، ص 488.
- 196 ابن رشد: م.س، ج9، ص 38.
- 197 نفسه.
- 198 نفسه.
- 199 نفسه.
- 200 مؤلف مجهول: فهرس مكتبة القيروان، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 4391 ج عربي، ميكروفيلم 50539، ورقة 131.
- 201 المالكي: م.س، ج2، ص ص 160، 161.
- 202 م.س، ص 229.
- 203 الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، ط. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل واطروحات، رقم 35، 1997، ص 66.
- 204 م.س، ج6، ص ص 53، 54.
- 205 ابن خاتمة الأنصاري: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 362 طب، ورقة 68.
- 206 ابن حيون المغربي: دعائم الإسلام، تحقيق أصف بن علي اصغر، ط. دار المعارف، مصر، 1965، ج2، ص 81.
- 207 ابن سيفوا النفوسي: كتاب الإيضاح، عمان، 1983، ج6، ص 222.
- 208 ابن فرحون: م.س، ج2 ن ص 243.
- 209 النزوى: م.س، ج30، ص 48.
- 210 ابن سيفوا: الإيضاح، ج6، ص 222، الدباغ: م.س، ج3، ص 50.

- 211 اليماني: م.س، ص 117.
- 212 الشريزي: الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريبي، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1946، ص 117، ثم قارن ابن عبد الرؤوف: م.س، ص 114.
- 213 ابن أبي زيد القيرواني: م.س، م 12، ص 486.
- 214 المجالس والمسائرات، ص 417
- 215 نفسه، ص 416.
- 216 مجهول: الاستبصار، ص 202.
- 217 ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص 38.
- 218 نفسه.
- 219 السقطي: م.س، ص 67.
- 220 المالكي: م.س، ج2، ص 129، الدباغ: م.س، ج2، ص 48.
- 221 ابن عذارى: م.س، ج 1، ص 391.
- 222 م.س، م 12، ص ص 278، 279.
- 223 م.س، م 13، ص 526.
- 224 الونشريسي: م.س، ج7، ص 47، ص 383.
- 225 المراكشي: م.س، ص 508، الونشريسي: م.س، ج7، ص 17-18، 37، 57.
- 226 الونشريسي: م.س، ج7، ص 485.
- 227 نفسه.
- 228 الونشريسي: م.س، ج7، ص ص 368، 383.
- 229 ابن ابي زيد: م.س، ج12، ص 85
- 230 ابن ابي زيد: م.س، ج12، ص 87.
- 231 الخرشبي: شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج2، ص 231.
- 232 ابن فرحون: م.س، ج2، ص 154.

- 233 ابن فرحون: م.س، ج2، ص57.
- 234 سحنون: م.س، ج3، ص562، ابن أبي زيد: م.س، ج11، ص129، ابن 132، ابن رشد: م.س، ج12، ص77.
- 235 ابن حيون المغربي: دعائم الإسلام، ج2، ص306.
- 236 ابن ابي زيد: م.س، ج12، ص84.
- 237 ابن رشد: البيان والتحصيل، ج12، ص318، ابن فرحون: م.س، ج2، ص154.
- 238 الخطاب المالكي: أسئلة وأجوبة في الوقف والفقهاء، مخطوط ومعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 137 فقه مالك مصنف غير مفهرس، ورقة 63، ابن فرحون: م.س، ج2، ص154.
- 239 ابن ابي زيد: م.س، ج12، ص86، ابن جزري: م.س، ص338.
- 240 ابن شاس: م.س، ج3، ص52.
- 241 ابن رشد: البيان والتحصيل، ج12، ص188.
- 242 ابن شاس: م.س، ج3، ص51، البرزلي: م.س، ج5، ص428.
- 243 الرملي: الفتاوى الخيرية لنفع البرية، المطبعة الميرية ببولاق، مصر، 1300هـ، ج3، ص179.
- 244 عياض: مدارك، ج1، ص505.
- 245 ابن عذارى: م.س، ج1، ص137.
- 246 المالكي: م.س، ج2، ص162.
- 247 عياض: مدارك، ج1، ص515.
- 248 المالكي: م.س، ج2، ص156.
- 249 نفسه، ج2، ص271.
- 250 نفسه، ج2، ص422.
- 251 نوازله، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم 669 فقه مالك، ورقة 58.